**الإستنارة: أن يكون بينك وبين الله حضور**

لا شك أن أعظم تجربة يمكنك أن تعيشها وتشهدها هي أن يكون بينك وبين الله اتصال؛ أن يكون لديك خبرة حضور مع الله. هي أن تعرف أن الله معك بالفعل، وأن حضوره هو حقيقة واقعة، وأن الاتصال بهذه الحقيقة متاح بداخلك في مركز عقلك. سيترتب على ذلك أن تجد الإرشاد الإلهي يدعمك في جميع قراراتك وسترى بنفسك أن معية الله تعبر عن ذاتها في جميع مجالات حياتك، عندما تجد وتعيش وتتنعم بهذا الحضور الإلهي ستنكشف لك حقيقة الحياة وسترى الأشياء والظروف وكل شيء بعين سليمة متحررة من الخوف، والهوى والشك والكراهية. لقد استفاد الأنبياء والحكماء والصوفيون من هذه الحقيقة، وعندما لزموها انبجست من أعماقهم الحكمة، وعاشوا يتلقون التوجيه الإلهي على شكل إلهام أو وحي. ومن حسن الحظ أن هذا يمكن أن يتحقق مع أي إنسان ينفتح على الحضور النوراني بداخله، فيلتزم بطاعة الله وينظف عقله وقلبه من شوائب الأنا المزيفة.

إن الذين يُحرمون من هذه الميزة لا يكتشفون قرب الله منهم، وسر تواجده في عقولهم وأرواحهم، وبالتالي يعيشون معتمدين على العقل الشخصي الذي يكتسبونه من التربية الأسرية ومن المدارس ومن وسائل التنشئة التربوية المختلفة. ذات يوم حضر رجل بسيط مجلس علم لأحد الشيوخ، وكان الرجل يأتي راكبا على حماره من الضفة الأخرى للنهر، ويسير مسافات بعيدة وشاقة حتى يعبر جسرا خشبيا يربط ضفتي النهر، وذات يوم سمع الشيخ يقول: لو بلغ أحدكم منزلة اليقين في إيمانه بمعية الله؛ فيمكنه أن يعبر هذا النهر ويطوي الله له الماء هو ودابته، فأيقن صاحب الحمار بهذه الحقيقة، وبعد انتهائه من سماع الشيخ صار يعبر النهر فيتحول الماء إلى يابسة حتى يكمل عبوره، وفي ذات يوم وبعد أن انتهى الشيخ من وعظه، قام صاحب الحمار وركبه وتحرك فتبعه الشيخ وطلب منه أن يردفه على الحمار إلى الضفة الأخرى من النهر، فرحب به وأفسح له مكانا على ظهر الحمار، وتحرك الحمار متوجها إلى شاطئ النهر، فسأل الشيخ صاحب الحمار: إلى أين ستتحرك؟ ألا ترى النهر أمامك؟ أجابه صاحب الحمار: نعم أراه، ولكنك علمتني أنني إذا امتلكت اليقين أستطيع أن أعبره، ومنذ ذلك اليوم صار النهر يتحول إلى يابسة فأعبره بحماري مختصرا المسافة التي كنت أقطعها بمشقة. هنا قال له الشيخ: توقف! أنا لم أصل بعد إلى مستوى يقينك. عندما تؤمن بالله حق الإيمان وتعطي له زمام توجيهك، وتتقرب إليه بما افترض عليك وبالنوافل، وتستدعي معيته بالتفكير والذكر والدعاء والتأمل، فإنك تفتح خط اتصال من النور يربط عقلك بالله سبحانه وتعالى، وتصبح مؤهلا لتلقي تدفق النور الذي يجعل اجتيازك لظروف الحياة سهلا وممتعا.

د. أحمد بن علي المعشني

رئيس أكاديمية النجاح للتنمية البشرية